خطبة الرئيس بيرد ضدج

في حفلة تنصيبه الرسمية

منذ ستين سنة رأى دانيال بلس رؤيا — مدرسة تعلم العلوم العالية قائمة على سفح جبل لبنان . حركت روح تلك الرؤيا كثيرين غيره من الرجال الافاضل فقدموا حياتهم للعمل على تحقيق تلك الرؤيا . كم من العجائب قد تخلل هذه الستين سنة : — هبت سوريا من حالتها الاقطاعية القديمة الى الاخذ باسباب الحياة الحديثة واصبحت جامعتنا حقيقة بعد ان كانت حلماً . العالم بأسره قد تطوّر بما جرى فيه من الانقلابات الجديدة — انقلابات مدهشة لم يشهد التاريخ اعظم منها . في وقت كهذا يحسن بنا ان نقف ونتبصر لكي نتبين من نحن وعلى اي الطرق نحن سائرون

ان ابناء الجيل الحاضر قد خاضوا غمرات حرب لم تزل جراحها دامية لا تلتئم الاّ بتوالي السنين المقبلة . ولم يبقَ لنا من امل في السلام والاخوّة العامة في العالم الاّ ما نتوقعهُ من الشبيبة التي لا بد من تهذيبها لتحقيق هذا الامل ومن اجل هذا التهذيب انشئت جامعتنا

امتاز مؤسسو هذه الجامعة ببعد نظرهم وشدة ايمانهم حتى ان الذين خلفوهم تمكنوا من متابعة العمل برأسهم الدكتور هورد بلس الذي اعتبر التعليم وسيلة لتنبيه اهم عنصر في الحياة الوافرة الذي هو تشوّق النفوس الى معرفة الله

ونحن بما توحيه الينا هذه الغاية الشريفة نتوق الى جعل جامعتنا معهداً تتنشّا فيه ارادة الخير العام . ومعيناً تتدفق منهُ مجاري الثقة المتبادلة وحب الانسانية . ان الطلبة يؤلّفون جامعتنا من بلدان مختلفة ونحن نسعى لتنشئتهم على مبادىء الاخلاص والطاعة لشرائع بلادهم ولذوي السلطة فيها كما نحاول ان نوقظ في نفوسهم الشعور الاخوي المتبادل الذي هو الاساس الوحيد لبنيان السلام في المستقبل . فغايتنا اذاً هي الغاية الحقة من التهذيب — ان نخرج من مدرستنا رجالاً وطنيين نافعين يعملون للبنيان لا للهدم ويحيون للمصلحة العامة لا لمصلحتهم الخاصة

ان لتعليمنا شكلاً عملياً ديموقراطياً . فنحن لا نرغم التلميذ على ان يحشد في ذهنه قدراً معيناً من المعارف والمعلومات ولكننا نعاونهُ على تعوّد الدرس والتحصيل

بنفسه . ولسنا ندعي اننا نستطيع في مدة اربع سنوات او خمس ان نُخرج الطالب كامل التحصيل في العلوم المختلفة بل كل ما نستطيعهُ ان نقوي فيهِ ملكة الدرس والمطالعة التي هي اساس التعلُّم الذي يدوم ما دامت الحياة . فشهادتنا اذاً إن هي الاَّ علامة لبداية النماء العقلي لا لاكتماله

كذلك لا ندَّعي ان عندنا القول الفصل في الحقائق العلمية والفلسفية والدينية ولكننا نلقن تلاميذنا ما قالت بهِ العلماء من كل الشعوب وفي كل العصور ونساعدهم لكي يكتشفوا الحقيقة بانفسهم

اننا نرمي الى تدريب طلبة جامعتنا الشبان والشابات على ان يقوموا بالخدمات العملية للمجتمع الذي ينتمون اليهِ . واي شيء يحتاج اليهِ القرن العشرون قرن الديموقراطية اكثر من حاجتهِ الى الخدمة النزيهة الفعالة ؟ على الرجل في هذه الايام اذا اراد الوصول الى مركز سام في المجتمع ان يتدرع باسباب الجد والحذق لان الاعتماد على الخديعة او الارث اصبح قليل الجدوى في هذه الايام . ان تجديد الحياة الاقتصادية في الشرق الادنى لا يتم الا بعمل ابناء الشرق انفسهم وشدة سعيهم . ومن ثم فنحن نشعر بضرورة التعليم العملي ووجوب اعداد تلامذتنا لحياة الخدمة — خدمة المصلحة العامة في اعمالهم التجارية والصناعية والفنية لا لحياة اللهو والرفاهية

على ان هذا لا يعني اننا لا نقدر قدر التعليم النظري حق قدرهِ وهو ذو الشأن العظيم في حياتنا الحديثة . لذلك فنحن نرجو ان يتزايد عدد الطلبة الذين يقبلون على اتمام دروس الدائرة العلمية . حتى طلبة الدوائر الفنية يجدر بهم ان يقرنوا دروسهم الفنية بالدروس النظرية . نعم ان هذا هو عصر الاخصاء ولكنهُ في الوقت نفسهِ هو عصرٌ لا بد فيهِ من سعة النظر والالمام بعلوم كثيرة . اننا نرغب في ان يمتاز تلاميذنا بتهذيب مداركهم لما لهذا التهذيب من الاثر المهم في جميع الشؤون . ومن ثم فنحن ندأب في جعل جوّنا المدرسي مشبعاً بروح هذا التهذيب وقدر النماء العقلي حق قدرهِ وعلى هذا الاساس يقوم سؤدد كل جامعة في العالم

وفضلاً عن ذلك ان معهدنا معهد ديموقراطي يعامل فيهِ الطلبة على اختلاف طوائفهم واجناسهم وطبقاتهم الاجتماعية معاملة واحدة ويدرّبون على احترام بعضهم بعضاً . ان مشكلة العصر الحاضر هي كيف نرفع مستوى المعيشة مع احترامنا لنواميس

الطبيعة في الأرض بحيث يصبح حكم الاكثرية بطبقاتها بركة لا لعنة . حاجتنا اذاً الى نهضة اجتماعية كحاجتنا الى نهضة علمية

ان طبقة العوام والشعوب المستضعفة في العالم اليوم هي في جهاد مستمر طالبة الظهور والتقدم . وقد اطلقت قوى اجتماعية هائلة شديد خطرها على كيان المجتمع اذا لم تضبط وبحسن استعمالها . ولا بد في كل ذلك من الصبر والاعتدال . على كل فرد ان يتعلم كيفية المحافظة على حقوق جاره كمحافظته على حقوقه . والنظام الاجتماعي المرغوب فيه ينبغي ان ينمو نماء طبيعيًّا لا ان يأتي فجأة

اننا ابداً نسعى في تعليم تلاميذنا وجوب الشعور بالمسؤولية نحو من هم دونهم واحترام من هم فوقهم . وان يلجموا اطماعهم في سبيل الخير العام . ويسعوا لبلوغ النجاح بصدر رحب وطرق مشروعة

ولما كان من اجل غايات التعليم الحاضر جعل المرء عضواً مفيداً في مجتمعه مؤهباً لخدمة قريبه فاننا نتحاشى كل التحاشي ان نؤثر تلاميذنا الشرقيين بل ان جل مسعانا جعلهم وطنيين نافعين لبلادهم وابناء وطنهم وذلك بان نقاسمهم افضل ما يتحفنا به الغرب من الحقائق العلمية والغايات الادبية . ومع ان جامعتنا هي جامعة اميركية فلا يغرب عن الاذهان انها ثمرة من ثمار الاحسان لا دعوة قومية او سياسية . ان الشعب الاميركي اليوم جل اهتمامه منصرف الى ترقية مرافق حياته الداخلية ومن ثم فهو ينفر من تحمل مسؤولية خارج بلاده . ومع هذا فبين الشعب الاميركي افراد قد اغدقت عليهم العناية بركات وفيرة حتى انهم شعروا ان لا بد لهم من ان يشركوا بها غيرهم مهما كانوا بعيدين عنهم ، فعملنا اذاً إنما هو الا مظهر لروح الكرم التي حركت اولئك الافراد

ليس من شأننا مناظرة المدارس الاهلية او غيرها في هذه البلاد . ان الحاجة انما هي الى التعاون في العمل لا الى المناظرة . وعليه فنحن نرحب بكل مسعى يرمي الى سد هذه الحاجة . ان المناظرة الحقيقية اليوم انما هي المناظرة القائمة بين الحق والباطل بين الفضيلة والرذيلة . ولا سبيل الى تغليب الحق والفضيلة الا اذا اتحدت مساعي المدارس في سوريا بأسرها

كانت بيروت في العصر الروماني مركزاً للعلوم فكان يؤمها الطلاب من سوريا ومن سائر البلدان المعروفة . وما احرانا اليوم ان نتعاضد مع غيرنا من

المعاهد التهذيبية في بيروت حتى نعيد اليها عزها العلمي الغابر فتعود مركزاً للعلم وينبوعاً للعرفان

ولا يجوز ابداً ان يغرب عن اذهاننا ان التقدم العقلي وحدهُ اذا لم يصحبهُ التقدم الادبي هو لعنة لا بركة . امم ان غرضنا تهذيب الشبان ليكونوا ذوي مقدرة على العمل ولكن غرضنا الاسمى ان يتخلقوا بالاخلاق الفضلى . المدرسة اشبه بعالم صغير وظيفتهُ اعداد الطالب الى العالم الخارجي الكبير . نحن لا نحاول ان نضع صغار تلاميذنا تحت المراقبة ولا ان نجهد انفسنا في حجب الشر عنهم كاننا بذلك نستطيع ان نصونهم من ارتكاب الشر . بل ان تربي في نفس الطالب روح الاعتماد على الذات ونعتمد على ما في نفسهِ من الشرف الذاتي الذي يجعلهُ يتجنب التجربة . نطلب منهُ ان يترفع عن الشر لا خوفاً من العقاب الذي ينتج عنهُ فقط بل حبًّا باصلاح السيرة

ومع هذا فلسنا ممن يعتقدون برفع الضوابط جميعها حتى عن التلاميذ الكبار وانما نقصد ان نهيء الاسباب التي تجذب الطلاب الى الاقامة ضمن جدران الجامعة حيث يكونون في بيئة صالحة . نحن نتطلب من التلاميذ جميعهم الطاعة لقواعد ادبية مقررة ونعتبر نجاح الطالب متوقفاً بالاكثر على سيرتهِ . ومن ثم كان من مرامينا الجهد في تحسين مزايا تلامذتنا لا تكثير عددهم

نحن نشعر باهمية اختيار المعلمين لا من حيث تفوقهم العلمي فقط بل من حيث تفوقهم الاخلاقي . نحاول اختيار المعلمين ممن لهم شغف بتعليم التلامذة حبًّا بالتعليم لا طمعاً بالمنفعة الذاتية . كرم الاخلاق يعدي ولذا كان من همنا الحصول على معلمين تسري منهم هذه العدوى الصالحة الى تلاميذهم

اننا نرمي الى ترقية الطلاب بدنيًّا وعقليًّا وروحيًّا . لا نرمي الى اخراج نوابغ ذوي قوى غير متوازنة بل الى اخراج رجال متوازني القوى . ان التربية الجسدية والتمارين الرياضية لا مندوحة عنها . فالالعاب وحفلات الانس والاجتماعات الروحية هي جزء ضروري من حياة التلميذ

وعندنا ان التعليم يتناول الحياة في كل مظاهرها . وسنجهد في إخراج تلاميذ تتوازن فيهم كل القوى والاستعدادات . جامعتنا شعارها (Ut vitam habeant et abundent) « لكيما تكون لهم حياة وافرة » ونحن نعتز بالحياة — حياة

الجسد وحياة العقل والحياة التي تستمدُّ قبسها من روحانية الله

فلتخرج شبيبتنا لكي تكافح مادية هذا العالم الدنيئة وفي صدرها شعلة من النور الاعلى تنير لها سبيل الحياة الخالدة وتحملها على المفاداة بالنفس ان اقتضت الحال لتأييد المبادىء الادبية العظمى التي بها وحدها تُنقذ الانسانية

وما كنا في تربيتنا الروحية لنلقي اهمية على الاسماء والظواهر ولا ان نحمل التلامذة على الدخول في ديانة مخصوصة . ان المذهب الانجيلي في نظرنا عبارة عن الحرية الدينية ولكون معهدنا انجيلي الصبغة فانا نرغب في ان نترك لتلاميذنا الحرية التامة في العبادة والمعتقد

وليست الديانة في نظرنا غرضاً غائيًّا نسعى للوصول اليهِ بالتعليم ولا هي قدر من الحقائق الملموسة التي يمكن تلقينها ولا هي معتقد يطلب الاعتراف بهِ بل هي شيء اهم من كل ذلك . هي الشعور بقوة روحية تضبط قوى الحياة وتحملها على طلب الخير . ولا ينحصر فعل الديانة في التعبد بل يتجاوزهُ الى اعمال الحياة المختلفة . فالروح التي تستحثنا على الامانة في الدرس والنصفة في الالعاب والتفاني في الخدمة البشرية — كل ذلك من فعل روح الديانة الحقيقية . فالمبادىء الدينية اذاً ينبغي اكتسابها في الحياة المدرسية على اختلاف وجوهها

ان المراسيم الدينية والشعائر الطائفية يجب ان تمارس في هياكلها الخاصة — في الكنيس او الكنيسة او المسجد — اما المدرسة فعليها ان تعاون هذه المؤسسات على تقوية روح الشعور بالله والرغبة في الحياة بموجب مقاصده الحقة . ان الانتظام في هذه الطائفة او تلك يتوقف على حالات اجتماعية شتى اما التعليم المدرسي فيغشى الدافع النفسي لصدّ الشر وطلب الخير

ليس لجامعتنا غاية ترمي بها الى نقض العقائد والتقاليد المرعية في الشرق بل ان غايتها ان تقاسم تلاميذها الاختبارات الروحية التي خبرها الغرب الناهض. فمعهدنا اذاً هو حلقة اتصال بين الشرق والغرب وسبيل يجري بهِ تبادل الافكار بين الفريقين

والذي يلوح لنا ان في العالم الديني سببين رئيسيين للانشقاق الحاصل فيه احدهما عملي والآخر عقلي

اما الانشقاق العملي فهو واقع بين ما هو مادّي وما هو روحي. بين من لا يهمهم امر الله ومن يهمهم ذلك . اما جامعتنا فلا تظاهر دعوة طائفية خصوصية ولكنها تعدُّ عدتها لمظاهرة الدعوة الروحية وبثها في كل قلب — تهيئة الفرد ان يعمل مع الله . بهذا المعنى نحن نبغي ان يكون كل واحد من تلامذتنا دينّاً

اما الانشقاق العقلي فواقع بين الذين يقبلون نظريات العلم الحديث والذين يرفضونها . فحقائق النشوء والابحاث العلمية في المختبرات والانتقاد العالي للتواريخ الدينية وعلم مقابلة الاديان المختلفة—كل ذلك قد صبغ تهضتنا الفكرية الحديثة بصبغة علمية قانونية . اما موقف جامعتنا بازاء هذه المسائل فهو موقف المشارك في الشعور الراسخ في مبادئ الجوهرية

أن بين معلمي جامعتنا رجالاً ونساء من كل الطوائف والمذاهب . ليس من غاية جامعتنا أن تروّج عقيدة مخصوصة دينية او عقلية بل ان تربط الافراد والجماعات على اختلاف وجوه نظرهم ربطاً يساعدهم على استمرار ايمانهم الحي بالله في هذا العصر الحديث الكثير التطور. ان الناشئة الجديدة اليوم في العالم اجمع ظامئة ايّ ظمأ لارتشاف حقائق العلم الحديث ولا بد في محاولة التوفيق بين النظريات الجديدة والتقاليد القديمة من حدوث شيء من التخريب . لذلك نرى في العالم كثيراً من اصحاب الشكوك واللاأدرية والقنوط الديني

ولا تقصد جامعتنا ان تهدم ما بناهُ السلف من المعنويات لتترك مكانهُ خراباً. ان الواجب يقضي علينا ان نحترم عقائد البشر التي قررتها الاجيال ونحاول تفسيرها لناشئتنا تفسيراً يقربها من افهامهم لكي يدركوا ان الله لم يزل في سمائه وانا لا نزال به نحيا ونتحرك ونوجد

ليس عملنا الهدم بل البناء

نحن نتوق ونسعى بقدر ما تمكننا الحال ان نلقّن تلاميذنا وجوب احترام عقائد آبائهم وما يرونهُ سامياً شريفاً وأن يوقروا اصحاب السلطة الدينية بينهم . ويكرموا العواطف التي اوجدت تقاليدهم وطقوسهم . وان يجلوا الاماكن التي طال عهد العبادة فيها — على اننا في الوقت نفسه نسعى لكي نبثّ في كل ذلك حياة متجددة منيرة تجعل الديانة شيئاً عملياً في سيرة شبابنا وقوة حقيقية في احياء النفوس وتجديد عمران عالمنا الذي ارهقتهُ هذه الحرب الاخيرة

وما الدين سوى الشعور بالله وأن تكون حياة الروح ظاهرة في سلوك الانسان وعند ما نحاول توضيح هذه الحقيقة لتلاميذنا نضع امام عيونهم شخصية كاملة اخضعت اعمالها كلها لارادة الله وكانت تضحيتها منارة أضاءت في العالم . ومعاذ الله ان تقصد جامعتنا ان تحمل حملة دينية على البلاد الشرقية ولكننا نود كثيراً ان يكون كل طالب في محبته ونقاء سيرته وعدم انانيته كما كان صاحب تلك الشخصية — السيد المسيح . فشكلة التنافر الجنسي والنزاع الطائفي لا يحلها سوى المحبة الاخوية . ولا سبيل لتعميم استقامة المبادىء في الحياة الاجتماعية والتجارية الاّ بتحسين السيرة . ولا يفصل النزاع القائم بين اصحاب الثروة وسواهم الاّ باقامة مبادىء الغيرية . وما احوج تلامذتنا الى الحصول على المحبة والمفاداة ونقاء السيرة اذا كانوا يطمحون ان يبلغوا مكانة تذكر في القرن العشرين

هوذا فصل جديد يبدأ اليوم في تاريخ عملنا . وها نحن نسمع صراخ العالم من حولنا يتطلب النجاح والسلام . وكم نتوق نحن لاعداد تلامذتنا إعداداً مقروناً بالحذاقة والمقدرة كما تقتضيه هذه الايام الحاضرة . الزراعة والصناعة والتجارة والمهن المتعددة كلها تصرخ طالبة من يتطوع في خدمتها وهو على أتم الاهبة والاستعداد . حيثما ادرنا الطرف — في المزارع او في المدن وراء الجبال او عبر البحار نرى اعياء يجب ان نرفعها ايدٍ قوية . هنالك شعوب لا تزال في الظلام تتلمس طريقها . هنالك غوامض علمية لم يسبر غورها تستدعي شبيبة العصر الحاضر . هنالك كثير من الاوبئة لم تكتشف علاجاتها بعد ومشاكل اجتماعية لم تحل ومعضلات قومية لم تفك . الرذائل والجرائم منتشرة ايما انتشار . فمن الذي يستطيع ان يصد انتشارها ؟ ان قوات الشر تكاد تتغلب والناس يصرخون طالبين السلام ولا سلام لهم

في احوال كهذه حاجتنا العظمى الى رجال ونساء اقوياء يقفون في طليعة الجيش . رجال ونساء لا يترددون عن البذل والمفاداة بافضل ما عندهم بل لا يحجمون عن الحياة او الموت في سبيل نصرة الصلاح ونشر المحبة المتبادلة في العالم . ان آمال العالم معقودة على اشخاص كهؤلاء — على النفوس التي يضحّى بها في سبيل الله والانسانية

وأني في هذا الموقف وقد دُعيت ان اكون رئيساً لهذه الجامعة اتعهد بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن رصفائي ان نبذل جهدنا لتنشئة طلبة يسمعون هذه الدعوة العليا ويلبّونها بحياتهم